﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ [سبأ: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

قـصّـةُ داود وسليمان مَثَلٌ للشّكور، وقصّةُ سبأٍ مَثَلٌ للكفور

لـمّا بيَّن اللّهُ تعالى لقريش حالَ الشّاكِرينَ لنِعَمِهِ المنيبينَ إليه، بذكْرِ داودَ وسُلَيمانَ ﷺ؛ بيَّنَ حالَ الكافِرينَ بأنعُمِه، المعرضينَ عنه، بحكايةِ أهلِ سَبَأٍ[1]؛ لأنَّ في حالِ أهلِ سَبأٍ مُضادَّةً لأحوالِ داودَ وسُليمانَ؛ إذ كان هذانِ مَثَلًا في إسباغِ النِّعمةِ على الشّاكرينَ، وكان أولئك مَثَلًا لِسَلبِ النِّعمةِ عن الكافرين[2]، وأيضًا جَرَّ خبَرُ سُلَيمانَ ﷺ إلى ذِكْرِ سَبأٍ؛ لِما بيْنَ مُلكِ سُليمانَ وبيْن مَملكةِ سَبأٍ مِن الاتِّصالِ؛ بسَببِ قِصَّةِ بِلْقيسَ[3]، أو لَمّا فَرَغ التَّمثيلُ لمحمَّدٍ ﷺ؛ رجَعَ التَّمثيلُ للمُشرِكينَ - أي: لحالِهم - بسبَأٍ، وما كان مِن هلاكِهم بالكُفرِ والعُتوِّ[4].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِسَبَإٖ﴾: (سبأ) أصلٌ يدلُّ عَلَى أَربَعَةِ معانٍ مختَلِفةٍ: فالأَوَّلُ سبَأْتُ الجِلْدَ، إذا مَحَشْتَهُ حتَّى أُحرِقَ شَيئًا مِن أعاليهِ، والثّاني سَبَأْتُ جِلدهُ: سَلَختُهُ، والثّالثُ سَبَأَ فُلانٌ عَلَى يَمينٍ كاذِبَةٍ، إذا مَرَّ عَلَيها غَيرَ مُكتَرِثٍ، ومِمّا يُشتَقُّ مِن هَذا قَولُهُم: انْسَبَأَ اللَّبَنُ، إذا خَرَجَ مِنَ الضَّرعِ، والمَسبَأُ: الطَّريقُ في الجَبَلِ، والمَعنَى الرّابِعُ قَولُهُم: ذَهَبوا أَيادي سَبَأَ، أَي مُتَفَرِّقينَ، وهَذا مِن تَفَرُّقِ أَهلِ اليَمَنِ[5]، وسَبَأ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 200.
(2) دروزة، التّفسير الحديث: 4/ 275.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 165.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 413، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 165.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبي/ سبأ).

في الأصل اسمُ رجلٍ من قحطان، ثمّ سُميّتْ به بلدةٌ معروفة[1] في اليمن، اشتُهرتْ تاريخيًّا بمَلِكتها (بلقيس)، وبسدّها العظيم (سدّ مأرب)، الذي كان تَهَدُّمُه إيذانًا بأفولِ نجم الحضارة السّبئيّة[2]، والمُرادُ بسبأ في الآية: الحيُّ أو القبيلةُ المُسمّاةُ باسمه، وكانوا يسكنون مأرب[3].

2) ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾: (سكن) أصل يدلُّ على خِلافِ الاضْطِرابِ والحَرَكَةِ؛ أي: هو دالٌّ على الاستقرار، والسَّكَنُ: السّكونُ، وما يُسْكَنُ إليه، ويُستعملُ في الاستيطان، نحو: سَكَنَ فلانٌ مكانَ كذا؛ أي: استوطنه[4]، وسكَنَ بالمكانِ: أقامَ فيه[5]، والمَسْكَنُ بِفَتْحِ الكافِ وكَسْرِها: البَيْتُ، والمَنزِلُ، والجَمْعُ مَساكِنُ[6]، ومعنى ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ في الآية: منازلُ آل سبأ.

3) ﴿طَيِّبَةٌ﴾: (طيب) أصلٌ يدلُّ على خلافِ الخبيثِ، والطَّيِّبِ: ما تستلذُّه الحواسُّ، وما تستلذُّه النَّفس، يُقالُ: أرضٌ طيِّبةٌ للَّتي تصلحُ للنَّبات، وريحٌ طيِّبةٌ؛ إذا كانت ليِّنةً ليستْ بشديدةٍ؛ وطُعْمةٌ طَيِّبَةٌ؛ إذا كانتْ حلالًا، وامرأةٌ طيِّبةٌ؛ إذا كانت حَصانًا عفيفة[7]، ومعنى ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾؛ أيْ: كثيرةُ الثّمار، وطيّبةُ الهواء، ليس فيها شيءٌ مُؤذٍ[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى: لقد كان لأهلِ سَبَأٍ في مَسكَنِهم علامةٌ واضِحةٌ تدلُّ على قدرةِ اللّه وعلى فضلِه على خلقه، وعلى وجوبِ شُكره على

إخبارٌ عن أهلِ سبأ وما آتاهم اللهُ من نِعَمٍ دالّةٍ على قدرةِ اللهِ وفضله

(1) السّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: (سبأ).
(2) عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (سبأ).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 279.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سكن).
(5) ابن سِيده، المحكم: (سكن).
(6) الفيوميّ، المصباح المنير، وابن منظور، لسان العرب: (سكن).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (طيب).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 377، والواحديّ، التّفسير البسيط: 18/ 342، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 59.

نعمه؛ بُستانانِ عَظيمانِ عن أيمانِهم وشَمائِلِهم، وقُلْنا لهم: كُلوا مِن رِزقِ رَبِّكم، واعمَلوا للّه تعالى وحْدَه وأطيعوه؛ شُكرًا له على ما أنعَمَ به عليكم، ثمّ بيَّن ما يوجِبُ الشُّكرَ المأمورَ به[1]، ببيانِ تمامِ النّعمة عليهم، فقال سبحانه[2]: هذه بلدةٌ طَيِّبةٌ، والمُنعِمُ بها رَبٌّ غَفورٌ يَستُرُ الذُّنوبَ، ويَتجاوَزُ عنِ المُؤاخَذةِ بها[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّة فصل الآية عمّا قبلها:

عــدمُ اشــتراكِ الـجـمـلـتـيْن في الحُكمِ يمنعُ من عطفهما

بيْنَ جملة ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾، وجملة ﴿مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: 14] تناسبٌ وارتباطٌ؛ فهما تتعلّقان بقصّتين قُصدَ بهما تذكيرُ قريشٍ بمثَلَيْنِ يعرفونهما؛ مثلٌ لمَنْ آمنَ وشكرَ، وهو داود وسليمان عليهما السلام، ومثلٌ لمنْ أعرضَ وكفرَ، وهم قومُ سبأ، لكنْ يمنعُ من عطفهما مانعٌ؛ أنّ السّابقة خبريَّةٌ لفظًا ومعنًى، وهذه إنشائيّةٌ لفظًا ومعنًى، فبينهما كمالُ انقطاع؛ فهي قصة جديدة مستأنفة.

توالي المؤكّدات في جملة ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾:

مبالغةٌ في تأكيدِ الآيــةِ الـدّالّـةِ عـلى قـدرةِ اللهِ وعظيمِ إحسانه

اشتملَ قولُه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ عدّةَ مُؤكِّدات؛ وهي: اللّامُ الموطِّئةُ للقَسَم، وحَرفُ التَّحقيقِ (قَدْ)، والقَسَمُ المُقدَّر؛ لأنَّ هذا على تَقدير القَسَم؛ أيْ: "واللّه لَقَدْ كانَ لِسَبَأ آيةٌ عظيمةٌ دالّة على اللّه عزّ وجلّ، وعلى قدرتِه على مجازاةِ المحسنِ بإحسانه، والمسيء بإساءته"[4]، وكذلك من المؤكِّدات: الجملةُ الاسميّةُ التي تَدلُّ على ثباتِ وقوّةِ الحُكْم وبَقائِه؛ أيْ: ثبات هذه الآيةِ الدّالَّة على قدرةِ اللّه وعظيمِ إحسانه، وهذا التَّأكيدُ لِتَنزيلِ المُخاطَبينَ بالتَّعريضِ بهذه القِصَّةِ مَنزِلةَ مَن يَتردَّدُ في ذلك؛ لِعَدَمِ اتِّعاظِهم بحالِ قَومٍ مِن أهْلِ

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 138.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 200.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 375، 377.
(4) ابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 126.

بِلادِهم[1]، وإنْ كانتْ روحُ الآياتِ ومضمونها يُلهِمان أنّ ما كان من أمرِ سبأ وما صاروا إليه ليس غريبًا على السّامعين، وهذا ما يجعلُ العبرةَ والمثلَ قويّيْن ومُلزِميْن هنا أيضًا[2].

دلالة التّعبير بفعل الكون الماضي:

آيـةٌ باقيةٌ حتى الآنَ، لكلّ مَن قرَأَ خبرَها

استعملَ البيانُ الإلهيُّ فعلَ الكون الماضي ﴿كَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾؛ للدّلالةِ على إطلاقِ هذه الآية، الدّالّةِ على قدرةِ اللّه؛ لا اختصاصِها بالزّمن الماضي قبلَ زمان الخطاب؛ لأنّ ﴿كَانَ﴾ تدلُّ على مجرَّد الحُدوث؛ أي: إنّها مَسلوبةُ الدَّلالة على الزّمَن، فإنّ هذه الآيَةَ باقيةٌ حتى الآنَ، لكلّ مَن قرَأَ خبرَها[3].

معنى (اللّام) ودلالتُها في المتعلّق ﴿لِسَبَإٍ﴾:

بيانُ اختصاصِ أهـــلِ سبـأ بالتّكريمِ إقامةً للحُجّةِ عليهم

لامُ ﴿لِسَبَإٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ للاختصاص؛ لقصدِ تشريفهم بهذا الاختصاص؛ امتنانًا من اللّهِ عليهم؛ أيْ: خصّكم بهذه الآية العظيمة، الدّالّة على قدرةِ اللّه وإحسانه ووجوبِ شكره، وفي هذا مبالغةٌ في إقامةِ الحُجّة عليهم، بأنْ خصّهم بما لم يخصّ غيرَهم، فكفروا ولم يشكروا.

أثر تنوُّع القراءات في قوله: ﴿لِسَبَإٍ﴾:

في الجمعِ بين القراءات إثراءٌ للمعنى

في قوله تعالى: ﴿لِسَبَإٍ﴾ ثلاثُ قراءات[4]: قراءةُ أبي عمرو والبزّي عن ابن كثير بالمنعِ من الصّرفِ؛ أيْ: بفتحِ الهمزةِ من غيرِ تنوين: ﴿لِسَبَأَ﴾، على أنّه اسمُ بُقْعَة، وهي تشيرُ إلى رجوعهم بما صاروا إليه من سوءِ الحالِ إلى غالبِ أحوالِ تلك البلاد في الإقفارِ وقلّةِ النّبتِ والعطش، وقراءةُ الجمهور بالصّرفِ؛ أيْ: بجرِّ الهمزةِ مع التّنوين على أنّه اسمُ قبيلة؛ لأنَّ اللّهَ جعلَ الآيةَ لسبأٍ، والظّاهرُ هو العاقلُ لا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 166.
(2) دروزة، التّفسير الحديث: 4/ 275.
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 126.
(4) ابن الجزريّ، النّشر: 2/ 337.

المكان، فلا يحتاجُ إلى إضمارِ الأهل[1]، وهذه القراءة تشيرُ إلى ما كان عليه أهلُ سبأ من الدّعةِ ورفاهةِ العيش.

وقراءةٌ قُنبل بتسكينِ الهمزة: ﴿لِسَبَأْ﴾، وهي تشيرُ كذلك إلى ما كان عليه أهلُ سبأ من الدّعةِ والسّكونِ والطّمأنينة[2]، وفي الجمع بين القراءات الثّلاث إثراءٌ للمعنى، وهذا من إعجاز القرآن الكريم.

معنى ﴿فِي﴾ ودلالتُها في قوله: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾:

دلائلُ متمكّنةٌ ظاهرةٌ للنّعمِ التي أنعمَ اللهُ بها على أهلِ سبأ في مساكنهم

دلّ حرفُ الجرّ ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ على الظّرفيّة، وهي ظرفيّةُ تمكُّنٍ وإيغالٍ للدّلائلِ على قدرةِ اللهِ، والعبرِ فيما حَباهمُ اللهُ من نِعَمٍ في مساكنهم، وما تضمّنته من جنانٍ عن يمينٍ وشمالٍ، وفي هذا التَّمكّنِ والإيغالِ دلالةٌ على ظهورها لكلّ أحدٍ.

سرّ انتقاءِ لفظِ المسكن:

المسكنُ من إنعامِ اللهِ تعالى؛ فهو مكانُ الاستقرارِ والإقامةِ، والرّاحةِ من التّعب

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التّعبيرَ بلفظ المسَّكن دون المنزلِ والبيت في قوله تعالى: ﴿كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾؛ لكونهِ أنسبَ مع سياقِ الحديثِ عن كمالِ الإنعامِ على قبيلةِ سبأ؛ فإنّ المسكنَ من السّكونِ وعدمِ الاضطراب والحركة، فهو مكانُ الاستقرارِ والاستيطانِ والإقامةِ والرّاحةِ من التّعب[3]، وهذا يقتضي أنْ يكون السّكنُ في مكانٍ تحقّقتْ فيه مقوّماتُ الأمنِ.

غرضُ إضافة (مَسْكَن) إلى ضمير أهل سبأ:

اختصاصُ أهلِ سبأ بنعمةِ السّكنِ والطّمأنينة؛ امتنانًا وإقامةً للحُجّة عليهم

أضافَ البيانُ القرآنيّ لفظ (مَسْكَن) إلى ضميرِ أهلِ سبأ (هم) في قوله: ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾؛ للإشارةِ إلى كمالِ إنعامِ اللهِ على أهلِ سبأ، بأنْ خصّهم بهذه المساكن التي كانتْ آيةً عظيمةً في

(1) ابن عادل، اللّباب في علوم القرآن: 16/ 38.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 475.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن سِيده، المحكم، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سكن).

جمالها، وما تُحقّقهُ من سكنٍ وراحةٍ وطمأنينة ومُتعٍ كثيرة؛ امتنانًا وإقامةً للحُجّة عليهم.

أثر تنوُّع القراءات القرآنيّة في ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾:

التّنوّعُ في آثارِ نعيمِ مساكنِ أهلِ سبأ، دليلٌ على عمومِ رَغَدِ عيشِهم

قرأ الجمهورُ ﴿مَسَٰكِنِهِمْ﴾ بصيغةِ الجمع، وهو ما يدلُّ على أنّ كلَّ واحدٍ منهم له مَسكنٌ[1]، وفي هذا إشارةٌ إلى عمومِ الرَّغدِ وانتفاءِ الفقرِ والفاقة، وقرأه حمزةُ وحفصٌ وخلف بلفظِ المُفرد في ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾.

وقرأ الكسائي وخلف العاشر بالإفراد مع كسر الكاف: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾، فحجة من وحَّد أنه بمعنى السكنى، فهو مصدر يدلُّ على القليل والكثير من جنسه، فاستغنى به عن الجمع مع خفَّة الواحد، وحجة من جمع أنه لمّا كان لكل واحد منهم مسكن وجب الجمع، ليوافق اللفظ المعنى، وحجة من فتح الكاف في الواحد أنَّه أتى به على المستعمل المعروف، لأن المصدر من: (فعَل يفعُل)، يأتي أبدًا بالفتح، نحو: (المقعد، والمدخل، والمخرج)، فهو أصل الباب، وحجة من كسر أنه جعله ممّا خرج على الأصل سماعًا، جاء بالكسر في المصدر، والفعل على (فعَل يفعُل)، وقد جاء ذلك في أحرف محفوظة منها: (المسجد، والمطلع)[2].

ولا خِلاف بينهما في المَعنَى؛ لأنَّ لفظ (مَسْكَن) مُفرَد، والمُفرَد المُضاف يَعُمُّ ويشمَل كُلَّ ما يَدخُل تحت هذا المَعنَى[3].

عندما تذوب الفروق فلا امتياز لأحدٍ

وفي الإفراد "إشارةٌ إلى أنّها لشدّةِ اتّصالِ المنافعِ والمرافقِ كالمسكنِ الواحد"[4]، وكذلك فيه إشارةٌ إلى عمومِ الرّغدِ حتّى إنّ مساكنهم متشابهةٌ لا فروقَ بينهما؛ فهي كالمسكنِ الواحد، إلّا أنّ حمزةَ وحفصًا فتحا الكاف ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ على أنّه اسم المكان[5]، أو

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 350، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 413.
(2) مكّي، الكشف: 2/ 204.
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 127.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 475.
(5) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 16/ 38.

على المصدر؛ أي: السُّكْنَى، وهو اسمُ جنسٍ يُراد به الجمع[1]، وفي الفتح "إشارةٌ إلى ما فيها من الرّوحِ والرّاحة"[2]، وقرأها الكسائيُّ وخَلَف: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بكسر الكاف؛ بمعنى: "في موضعِ سُكْناهُم"[3]، وهو خارجٌ عن القياس؛ لأنّه مضارعٌ غيرُ مكسورِ العينِ، فحَقُّ اسمِ المكان منْهُ فتحُ العين[4]، وفي الكَسْر "إشارةٌ إلى أنّها في غايةِ الملاءمةِ لهم واللّين"[5].

دلالة التّعبير بـ ﴿ءَايَةٌ﴾، ولطيفةُ تنكيرها:

عجيبُ نعيمِ جنتانِ سبأ علامةٌ واضحةٌ على قدرةِ الله وإنعامه

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التعبيرَ بالآية في قوله تعالى: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾؛ لكون لفظِ الآية أعمَّ من غيرها؛ كالعَلامة والعبرة والدّليل؛ فقد وردتْ معاني لفظ (الآية) في القرآن على أوجهٍ؛ إلّا أنَّ التّعبير بلفظ ﴿ءَايَةٌ﴾ أنسبُ لوضوحِ وكمالِ هذه الجنانِ التي أكرمَ اللّه بها أهلَ سبأ، ولكونها علامةً ظاهرةً ودلالةً واضحةً، وبرهانًا ساطعًا على الحقّ، وعلى أَنَّ لَهُمْ خالِقًا خَلَقَهُمْ، وأنّ المنعمَ عليهم هو اللّه، وعلى قُدْرةِ اللّه وحِكْمته في النِّهاية؛ لأنَّ هذه المَساكِنَ - كما سيَأتي - دُمِّرَتْ بسبَب إعْراضِهم[6].

في جنتيْ سبأ شديدُ عَجَبٍ

في التَّعبير بـ﴿ءَايَةٌ﴾ أيضًا إشارةٌ إلى أنّ في الجنَّتيْن - وهما ماهيّة هذه الآية - عجائبَ، وأنّهما يختلفان عن الجنانِ التي نعرفها، وقد ذَكرتْ بعضُ كتب التّفسير شيئًا من هذه العجائب[7]، ومنها: أنّه ليس فيها بَعوضٌ ولا ذبابٌ ولا برغوث ولا عقربٌ ولا حيّة[8]، أمّا تنكيرُ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 413.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 475.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 413.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 166.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 475.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 375، والواحديّ، التّفسير البسيط: 18/ 341، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 283.
(7) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 20/ 12293.
(8) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 59.

لفظ الآية؛ فللدّلالةِ على تعظيمِ هذه الآية؛ فهي آيةٌ فخيمةٌ عظيمةٌ لا يُقادرُ قدرُها.

فائدة إفراد لفظ ﴿ءَايَةٌ﴾:

عجائبُ جنانِ سبأ مُتماثلةٌ في الدّلالة متّحدةُ الجهة

عبَّر السّياق القرآنيُّ بلَفظ (الآيةِ) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، مع أنَّ الجَنَّتين آيتانِ، والعجائبَ في هاتين الجنّتين كثيرةٌ؛ لِتَماثُلِهما في الدَّلالةِ، واتِّحادِ جِهَتِهما، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: 50][1]، ولأنّ كلمةَ (آية) تُطلقُ على الجمعِ أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: 50]؛ فلم يَقُلْ: آيتين؛ لأنّ الأمرَ الغريبَ الذي جمعهما واحدٌ[2].

سِرُّ تقييد ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالجارّ والمجرور:

في ذِكْرِ مسكنِ سبأ اهتمامٌ به، ودفعٌ لتصوُّرِ عجائبه وتعريضٌ بالمشركين

قيّدَ البيانُ الحكيمُ لفظَ ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالجارِّ والمجرور ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ﴾، ولم يَقُلْ: (لقد كان لسبأ آيةٌ جنتان)؛ اهتمامًا بنعمةِ المسكنِ، وبيانًا لعظيمِ عجائبه، ودفعًا أكثرَ للتّأمُّلِ في هذه الآيةِ المتعلّقةِ بمكانِ إقامتهم الذي يعيشون فيه، وقد تمكّنوا في نعمِه، وتحقّقَ لهم فيه الاستقرارُ والاستيطانُ، والهُدوءُ وعدمُ الاضطرابِ، والإقامةُ والرّاحةُ من التّعب؛ بما يُهيّئُ الذِّهنَ لتصوّرِ هذا النّعيم، وفي هذا القيد كذلك تعريضٌ بقريش، التي أنعمَ اللّهُ عليها بالبلدِ الأمين، الذي تُجبى إليه ثمراتُ كلّ شيءٍ.

أثر الموقع الإعرابيّ لقوله: ﴿جَنَّتَانِ﴾:

في البدليّةِ والإخبارِ بيانٌ لماهيّةِ الآيةِ وتفسيرٌ لها

﴿جَنَّتَانِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ إمّا بدلٌ من ﴿ءَايَةٌ﴾ باعتبارِ تكملِتِه بما اتَّصَلَ به

(1) الرّازيّ، أنموذج جليل، ص: 419، والأنصاريّ، فتح الرحمن، ص: 465.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 20/ 12293.

من المُتَعَلِّقِ والقَوْلُ المُقَدَّرُ، "وأبدلَ مُثَنًّى من مفرد؛ لأنّ هذا المفرد يصدقُ على هذا المثنى"(1)، أو خبرُ مبتدأٍ تقديرُه: (الآيةُ جنتان)، أو (هي جنتان)(2)، ويمكنُ أنْ تكونَ ﴿جَنَّتَانِ﴾ ابتداءً، وخبرُه في قوله: ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾(3)، "وفيه: معنى المدح، ويُؤَيِّدُه قراءةُ النَّصبِ على المدح"(4).

وفي البدليّةِ والإخبارِ بيانٌ لماهيّة الآيةِ وتفسيرٌ لها(5)، وكذلك في البدليّة كِنايةٌ عن طيبِ تُربةِ بلادِهم، وقد قيل: إنّ أهل سبأ كانوا يَزْرَعونَ ثلاثَ مَرّاتٍ في كُلِّ عامٍ(6).

نُكْتَةُ تثنية ﴿جَنَّتَانِ﴾، ولطيفةُ تنكيرهما:

تَثْنِيَةُ الجَنَّتَيْنِ في قوله تعالى: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ﴾ إمّا باعْتِبارِ أَنَّ ما على يَمينِ السّائِرِ كَجَنَّةٍ، وما على يَسارِهِ كَجَنَّةٍ؛ بما يدلُّ على كَمالِ هذهِ الجنّات، والمعنى: مجموعةُ جنانٍ عن يمينِ مسكنهم، ومجموعةٌ عن شماله، كلُّ واحدةٍ منهما في تقاربها وتضامّها كأنّها جنّة واحدة(7)؛ فهي "لشدّةِ اتّصالِ بعضِه ببعضٍ عن يمينِ كلِّ سالكٍ وشماله في أيّ مكانٍ سلكَ من بلادهم، ليس فيها موضعٌ مُعطّل"(8)، وهذا فيه إشارةٌ إلى أنّ الأمنَ كان مُستتبًّا بينهم، بما لا يضطرهم إلى الفصلِ بين بساتينهم بسورٍ أو حائطٍ(9).

كـثرةُ الجنـانِ واتّصالُـها عن يـمـينِ وشـمـالِ مـسـكـنِ سبأ دلالةٌ على الرّغدِ والأمن

ويحتمل أيضًا أن يكون المقصود أنَّه كانَ لكلّ رجلٍ مِنْهُم في مَسْكَنِهِ

جـنـانٌ وثـمـارٌ وظلالٌ، هل بعد هذا جمال؟.

(1) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 16/ 41.
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 58، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 244، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 16/ 41.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 413.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 127.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 534.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 166 - 167.
(7) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 244.
(8) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 477.
(9) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 20/ 12294.

- أيْ: دارِهِ - جَنَّتانِ؛ جَنَّةٌ عَنْ يَمينِ مسكنِه، وجَنَّةٌ عَنْ شِماله[1]، فَكانوا يتفيّؤون ظِلالَهُما في الصَّباحِ والمساء، ويجتنونَ ثمارهما مِنْ نَخيلٍ وأَعْنابٍ وغَيْرِها، فَيَكونُ مَعْنَى التَّرْكيبِ عَلَى التَّوْزيعِ؛ أيْ: لِكُلِّ مَسْكَنٍ جَنَّتانِ، كَقَوْلِهِمْ: رَكِبَ القَوْمُ دَوابَّهُمْ، وهذا يؤيّده السّياق؛ فقد ورد فيه قوله: (في مَساكِنِهِمْ)، دونَ (في بِلادِهِمْ)، أَوْ (ديارِهِمْ)[2]، وأمّا تنكيرُ ﴿جَنَّتَانِ﴾؛ فللدّلالة على كثرةِ الجنانِ وتعظيمها وتفخيمِ شأنها، فهي جنانٌ عظيمةٌ كثيرةٌ فخيمةٌ، جَعلتْ أهلَ سبأ في أَحسَنِ ما يكونون من الرَّغَد والهَناء والأَمْن.

دلالة الجارِّ والمجرور ﴿عَن يَمِينٍ﴾:

الجارُّ والمجرور ﴿عَن يَمِينٍ﴾ إمّا صفةٌ لـ﴿جَنَّتَانِ﴾[3]، أو خبرٌ للمبتدأ ﴿جَنَّتَانِ﴾[4]، أو خبرُ مبتدأ مُضمرٍ؛ أيْ: هما عن يمينِ الوادي وشِماله، أو: هما عن يمين مَنْ أتاها وشماله[5]، والمعنيان لا يتعارضان، و﴿عَن﴾ بمعنى (عند)، فإنّ المساكنَ محفوفةٌ بالجنّتين، لا مظروفةٌ لهما[6].

صفةُ مساكنِ سبأ أنّها محفوفةٌ بالجنان

دلالة ذِكْر جهتي ﴿يَمِينٍ﴾، ﴿وَشِمَالٍ﴾:

في ذِكْرِ جهتي اليمينِ والشِّمال في قوله تعالى: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كنايةٌ عن الخصبِ والازدهارِ في كلّ جزءٍ من أجزاءِ البلاد، وأنّ المارَّ بأرضِ سبأ كان أنّى اتّجه يرى الخيراتِ عن يمينه وشماله، ونكّر الجهتيْن فلم يَقُلْ: عن اليمين والشِّمال؛ لإفادةِ عمومِ هاتيْن الجهتيْن وشمولهما وسعتهما، فهما ليستا جهتين محدودتين بسعةٍ معيّنة؛ بل تشملان كلّ يمينٍ وشمالٍ للوادي، أو لكلِّ مسكنٍ من مساكنهم.

خِصْبٌ وازدهارٌ في كلِّ جزءٍ من أجزاءِ مساكن سبأ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 244، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 127.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 167.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 81.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 413.
(5) ابن عادل، اللّباب في علوم القرآن: 16/ 41.
(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 81.

بلاغة المطابقة بين ﴿يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾:

بيانُ كمالِ نعمةِ جنانٍ تشملُ وادي سبأ ومسكنَهم كلّه

﴿يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ بينهما طباقٌ لكونهما متقابلين في المعنى، وفي هذا زيادةٌ في حُسْنِ الكلام، ودلالةٌ على بيانِ كمالِ نعمةِ الجنانِ التي تشملُ الوادي كلّه، يمينَه وشمالَه، أو تشملُ يمينَ وشمالَ كلّ مسكنٍ من مساكنهم؛ أيْ: كانتْ مدينتهم (مأرب) محفوفةً على يمينها وشمالها بغابةٍ من الجنّات، يصطافون فيها ويستثمرونها.

موقع جملة ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾، ودلالتُه:

بيانٌ لكمالِ النّعمةِ، وتعجيلٌ لسوقها

جملة ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ هي مَقولُ قولٍ مَحذوفٍ؛ حِكايةً لِما قيلَ لهم على لِسانِ نبيِّهم؛ تَكْميلًا للنِّعمةِ، وتَذكيرًا لِحُقوقِها، أو لِما نطَقَ به لِسانُ الحالِ، أو بَيانٌ لِكَونِهم أحِقّاءَ بأنْ يُقالَ لهم ذلك[1]، وفي حذفه بلاغةُ إيجازِ الحذف؛ تعجيلًا لسوقِ المقولِ، وزيادةً في بيانِ كمالِ النّعمة.

سِرُّ إيثار التّعبير بالأكل دونَ غيره:

الأكلُ أعظمُ وجوهِ المنافعِ، وفيه دلالةٌ على كرمِ جنانِ سبأ، ويُسرِ الانتفاعِ بها

آثرَ النَّظْمُ الحكيمُ التّعبيرَ بالأكلِ دونَ غيره، فلمْ يقلْ مثلًا: (انتفعوا)، رغم أنّ المُرادَ به الانتفاعُ بسائرِ ما ينتفعُ به، من أكلٍ وشربٍ وغير ذلك؛ وذلك لأنّ الأكلَ هو أعظمُ وجوهِ الانتفاع؛ إذ تقومُ به البُنية؛ وللإشارةِ إلى كرمِ تلك الجنانِ، وسعةِ ما بها من الخير، ويُسرِ الانتفاع بها، حتّى وكأنّه جاهزٌ للأكل، ولا يُحتاجُ إلّا أنْ يُقال لهم: كلوا[2]، فاللهُ ﷻ جعَلَ في هاتين الجَنَّتَينِ خيرًا كثيرًا، وجعَلَ تَناوُلَها مُيَسَّرًا، كما لو قدَّمتُ لكَ طعامًا وقُلْتُ: كُلْ؛ أيْ: إنَّ هذه الجَنّاتُ تُعطي ثِمارها بدون مَشَقَّة، بل باليُسْر والسُّهولة[3].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 575، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 127، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 167.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 477.

(3) ابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 129.

غرض الأمر ﴿كُلُواْ﴾، ومرجعُ ضمير الخطاب:

أَمْـرُ أهـلِ سبأ بـالأكـلِ هو لمُطْلَقِ الإباحةِ أو بمعنى الخبر

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ على إطلاقِه؛ أيْ: للإباحة[1]، لا ندبَ ولا إيجابَ، وفي الأمرِ إشارةٌ إلى تكميلِ النّعم عليهم، حيثُ لم يمنعهم من أكلِ ثمارها خوفٌ ولا مرضٌ[2]، أو أنّه أمرٌ بمعنى الخبر؛ أيْ: يخبرُ اللّهُ بأنّهم كانوا يأكلونَ من رزقِ ربّهم[3]، والضّمير في ﴿كُلُواْ﴾ يعودُ على قومِ سبأ؛ لأنّ الحديثَ عنهم.

معنى ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾:

الـرّزقُ من اللهِ لقومِ سبأ كثيرٌ بـما يستدعي شـكـرَهـم لا كفرَهم

حرف الجرّ ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ إمّا لابتداءِ الغايةِ إنْ عُلقتْ بالفعل ﴿كُلُواْ﴾، أو للتّبعيض[4] إنْ عُلّقت بمحذوف هو مفعول ﴿كُلُواْ﴾، تقديره: (رزقًا)، وتكون ﴿مِن﴾ حالًا من ذلك المفعول المقدّر؛ أيْ: كلوا رزقًا من رزقِ ربّكم، والتّبعيضُ يفيدُ كثرةَ الرّزقِ الذي تميّزتْ به بلدةُ سبأ، وهذا يستدعي شكرهم للّه لا كفرهم به، وفي هذا إقامةٌ للحجّة عليهم.

دلالة التّعبير بالرّزق:

الـرّزقُ قـوامُ الحياةِ والنّعمةُ الـظـاهـرةُ وهـو أنـسـبُ لكـمالِ الإنعام

عبّر البيانُ الحكيمُ عمّا أنعمَ اللّهُ به على أهلِ سبأ بالرّزق في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾؛ لأنّ الرّزقَ هو عطاءُ اللّهِ سبحانه[5]، والرّازقُ: المُعْطي، وهوَ اللّهُ[6]، ولأنّ الرّزق هو الغايةَ المرجوّة، وهو النّعمةُ الظّاهرةُ التي أنعمَ بها ﷻ على عباده في حياتهم؛ من غذاءٍ ولباسٍ ومأوى، فهو يشملُ كلَّ ما يُنتفعُ به من مالٍ ونحوه[7]، ومن ثَمَّ كان التّعبيرُ بالرّزقِ أنسبَ للسّياقِ المتضمّنِ لكمالِ الإنعامِ من اللّه تعالى.

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 480.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 200.
(3) الكتّانيّ، تفسير القرآن الكريم: 219/ 2.
(4) بهجت صالح، الإعراب المفصّل: 9/ 326.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رزق).
(6) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (رزق).
(7) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (رزق).

سِرُّ إضافة الرِّزق إلى الرُّبوبيّة ﴿رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾:

بـيـانٌ لعظيمِ عطائهِ وعنايتهِ سبحانه؛ تلطّفًا بـقـومِ سبـأ، وتأليفًا لقلوبهم

آثرَ النّظمُ الحكيمُ الإضافةَ إلى لفظِ الرّبوبيّةِ دون لفظِ الأُلوهيّة في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾، فلم يَقُلْ: (كُلوا من رزق اللّه)؛ وذلك للدّلالةِ على عظيمِ عطائهِ وإحسانه سبحانه وامتنانه وتفضّله[1]؛ فإنّ لفظَ الرّبوبيّة يدلّ على المِلكِ والتّربيةِ والرّعايةِ والعنايةِ والتّدبيرِ والقوامةِ والإصلاحِ والعطاءِ والإنعام، والمعنى: كلوا من رزقِ المُحسن إليكم، المُتفضّل عليكم، الذي أخرجَ لكم منها كلَّ ما تشتهون[2]؛ أيْ: في الإضافة دلالةٌ على أنّها "رُبوبيةٌ خاصَّةٌ لعِنايته ﷺ بهم، بما أعطاهم في هذه الجَنّاتِ"[3] تلطّفًا بهم، وتأليفًا لقلوبهم نحو الشُّكران، كما أنّ لفظَ الرّبوبيّة أعمُّ من لفظِ الألوهيّة، وهو بذلك أنسبُ للسّياق؛ فلفظُ ﴿كُلُواْ﴾ خطابٌ عامٌّ يشملُ كلَّ مربوبٍ، وعطاءُ الرّبوبيّة يشملُ كلّ النّاسِ، مؤمنِهم وكافرِهم، أمّا عطاءُ الأُلوهيّة فهو خاصٌّ بالمؤمنين الذين يتّبعونَ منهجَه سبحانه.

سِرُّ تقييد فعلِ الأكل بالقيد ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾:

تعظيمٌ لانتفاعٍ لا كُلفةَ لسبأ فيه، وتعريضٌ بهم لزُهدهم في نِعَم الله

قيَّد البيانُ القرآنيُّ فعلَ الأكل بالقيد ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ دون غيره؛ فلم يَقُل: (مما تحرثون وتزرعون)؛ للإشارةِ إلى تعظيمِ شأنِ هذا الرّزق المضافِ إلى الرّبّ سبحانه، المتّصفِ بصفاتِ الجلال والكمال، وأنّه لا يكونُ فيه عملٌ أو سببٌ، وإنّما عطاءٌ من اللّهِ بلا عملٍ وبلا سببٍ، لذلك تمّمَ الآية وختمها بقوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، وفي هذا كلّه تعريضٌ بهم لزهدهم في هذه النّعمةِ العظيمة الثّابتة؛ إذ لا زُهدَ في نعمةٍ لتكرارها، وتعريضٌ بهم لعدمِ شُكرهم لهذه النِّعمةِ التي لم يُكلّفوا بأسبابها، وإنّما كُلّفوا فقط بشُكرها،

(1) بهجت صالح، الإعراب المفصّل: 9/ 326.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 477.
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 129.

وفيه تحذيرٌ لهم منَ الاغترار بها، بظنّهم أنّهم أصبحوا مالكين لها، ونسيانهم أنّ المُنعِمَ بها عليهم هو اللّه، وكلُّ ما هم فيه إنّما هو من عطاءِ اللّه وفضله[1].

توجيهُ المتشابه اللّفظيّ:

امتنانٌ ناسبهُ إضافةُ الرّزقِ إلى الله، وتملّكٌ ناسبهُ الإضافة إلى القرية

أضافَ البيانُ القرآنيُّ الرّزقَ إلى اللّهِ سبحانه في الآية هنا: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾؛ لأنّ السّياقَ سياقُ امتنانٍ، ناسبَهُ إضافةُ الرّزق إلى اللّه ﷻ، بينما لم يُضفِ الرّزق إلى اللّهِ ﷻ في سورة النّحل في قوله: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ [النّحل: 112]؛ لأنّ المقامَ مقامُ وصفٍ للامتيازاتِ التي وقعتْ لهذهِ القرية، ولذا أُضيفَ الرّزقُ إليها من بابِ النّصِ على امتلاكِ القريةِ لهذه الامتيازات؛ أيْ: ناسبتِ الإضافةُ سياقَ التّنعمِ والتّملّك[2].

معنى (الواو) ودلالتُها في قوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾:

الشّكرُ لا يُطلَبُ إلّا على النّعمةِ المُعتبَرة

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه قولُه: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾، بجامعِ أنّ كليهما أمرٌ من اللّهِ على لسانِ نبيّهم؛ بالتّنعمِ برزقِ ربّهم، وهو أمرُ إباحةٍ، والشّكرِ على هذه النّعم، وهو أمرٌ مُشتركٌ بين الوجوب والنّدب، "فإنَّ الشّكرَ لا يُطلبُ إلّا على النّعمة المعتبرة؛ أي: اعملوا له بطاعته"[3].

غرض الأمر في قوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾:

أمرُ وجوبٍ وندبٍ، يُظهرُ صدقَ الاعترافِ بنِعَمِ اللهِ وتعظيمه

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ يحتملُ أنْ يكونَ للوجوبِ، أو أنْ يكونَ للأمرِ المشترك بين الوجوب والنّدب، وهو ليس للإباحة[4]، والمُرادُ بهذا الأمر الإلهيّ إظهارُ تعظيمِ اللّه تعالى، وبَيانٌ لِكَمالِ

(1) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 20/ 12294 - 12295.
(2) القدّوميّ، التّفسير البيانيّ لما في سورة النّحل من دقائق المعاني، ص: 225.
(3) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 16/ 42.
(4) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 15/ 480.

النِّعْمَةِ؛ فإنَّ الشّكرَ لا يُطلبُ إلّا على النّعمةِ المعتبرة[1]، وهو بيانٌ لمدى صدقيّةِ تقديرِ هذه النّعمةِ من قِبَلِ قومِ سبأ؛ إذ شُكرُ النّعمةِ هو طاعةُ اللّهِ بها بتركِ المعاصي، ولزومِ الطّاعات والتّقربِ إلى اللّهِ وطلبِ رضوانه.

دلالة التّعبير بالشّكر:

عطاءاتٌ من اللهِ لقومِ سبأ، تستوجبُ شكرهم باللّسانِ والجوارحِ والجَنانِ

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ الشّكر في قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ دون غيره من الألفاظ كالمدح والثّناء؛ لأنّ المدحَ يكونُ على الصّفاتِ، والشّكرَ يكونُ على الأفعال، ولا يكونُ الشّكرُ إلّا عن يَدٍ[2]، وعلى إنعامٍ وصلَ إلى المُنعَم عليه[3]، والمدحُ والثّناءُ لا يكونُ إلّا باللّسان، بخلافِ الشّكر فإنّه يكون باللّسانِ والجوارحِ والجَنان[4]، وسياقُ الآية هي عطاءاتٌ من اللّه ونِعَم أنعمَ بها على قومِ سبأ، وهي تستوجبُ الشّكرَ لا المدحَ والثّناء، ولأنّ مظاهرَ الشّكرِ من قِبَلِ العبدِ تتعلّقُ بالقَلْب واللّسان والجوارِح، والمعنى: فاعترِفوا بأنَّ هذه النِّعْمةَ من اللّه تعالى، وأَثْنوا على اللّهِ تعالى بها، وقوموا بجوارِحكم بطاعته حتّى تُؤدّوا الشُّكْر على الوجهِ المَطلوب منكم[5]؛ أي: اشكروا اللّهَ بالكلمةِ المنفتحةِ على نعمه، المعترفةِ بفضله، وبالعملِ الصّالح الذي يتجسّدُ فيه رضاه.

في الشّكر منجاةٌ من الوقوع في كفر النّعمة

والتّعبير بالشّكرِ أيضًا مناسبٌ لسياقِ ذِكْرِ الكفر في الآيات: ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾؛ لأنّ الشّكرَ في اللّغة يضادّ الكفر[6].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 200.
(2) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (شكر).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 1/ 19.
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 1/ 450.
(5) ابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 129.
(6) الرّاغب، المفردات، ص: 461.

معنى (اللّام) ودلالتُها في قوله: ﴿لَهُۥ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ﴾ لإفادة الاختصاص؛ والمعنى: "خصّوه بالشّكرِ بالعملِ بما أنعمَ به في ما يُرضيهِ ليُديمَ لكم النِّعمة"[1].

نُكْتَةُ إسنادِ ﴿كُلُواْ﴾ و﴿وَٱشۡكُرُواْ﴾ إلى واو الجماعة:

عمومُ التّفضّلِ بالنّعمِ يستلزمُ عمومَ الشّكرِ عليها

أسندَ البيانُ القرآنيُّ الفعلين ﴿كُلُواْ﴾ و﴿وَٱشۡكُرُواْ﴾ إلى واو الجماعة في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ﴾؛ للدّلالة على عموم تفضّله سبحانه بإباحةِ الانتفاعِ بكلّ ما أنعمَ اللّهُ به، لكلِّ فردٍ من أفرادِ قوم سبأ، وبالمقابل أمرَ كلَّ فردٍ منهم بشُكرِ هذه النّعم، وأنْ يجتمعَ رأيهم وحالُهم على ذلك، فعمومُ التّفضّلِ يستلزمُ عمومَ الشّكر عليها.

نُكْتَةُ تقييد فعلِ الشّكر بالقيد ﴿لَهُۥ﴾:

التّخفيفُ على قومِ سبأٍ في الشّكر، وعدمُ تحميلهم ما لا يستطيعون

قُيِّد الفعلُ في ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ﴾ بالجارِّ، ولم يُقلْ: (واشكروه)؛ لِما بينهما من فرقٍ؛ ففي القول (واشكروه) لا يُلتفتُ إلى فعلِ الإحسانِ المذكور، بل يُتجاوزُ إلى شكرِ ذاته العليّة بجميعِ ما تتفضّلُ به، بخلافِ القول ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ﴾، فإنّ الشّكرَ فيه على ما تفضّلَ من الإحسانِ المذكور، وفي هذا تخفيفٌ عن المخاطَبين، ورفقًا بهم وبقدراتهم، بتكليفهم بحسبِ ما يستطيعون، فإنّهم يقصرونَ عن إدراكِ عَظَمَةِ عطائه سبحانه[2].

نُكْتَةُ تقديمِ جملة ﴿كُلُواْ﴾ على ﴿وَٱشۡكُرُواْ﴾:

النّعمةُ توجبُ شُكرَ المُنعِمِ الذي أباحَ ومكّنَ

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ جملةَ ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ﴾ على جملة ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥ﴾، من باب تقديمِ السَّببِ على المُسبَّب؛ فإنّ النّعمةَ توجبُ شكرَ المنعمِ الذي أباحَ ومكّنَ، وهو سلوكُ الأوفياءِ ومنهجُ الأتقياءِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 477.
(2) حقّي، روح البيان: 1/ 256.

علّة فصلِ جملة ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ عمّا قبلها:

استئنافٌ مُبيِّنٌ لِما يوجبُ الشُّكرَ المأمورَ به

فَصَلَ القرآنُ جملةَ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ عمّا قبلها، ولم يربطهما بعاطف؛ إمّا لِما بين الجملتين من كمال اتّصال؛ لأنّ جملة ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ من تمام القولِ، وهي مستأنفةٌ في الكلام المقول؛ أيْ: بلدةٌ لكم طيّبة[1]؛ إذ إنّه لمّا بيّن حالهم في مساكنهم وبساتينهم وأكلهم؛ أتمّ بقوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ ببيان النّعمة، بأنْ بيّن أنْ لا غائلةَ عليه، ولا تَبِعةَ في المآل في الدّنيا، فقال: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾؛ أيْ: طاهرةٌ عن المُؤذياتِ؛ لا حيّةَ فيها ولا عقربَ، ولا وباءَ ولا وخم، وقال: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾؛ أيْ: لا عقابَ عليكم ولا عذابَ في الآخرة، فعند هذا بانَ كمالُ النّعمة، حيثُ كانت لذّةً خاليةً عن المفاسدِ العاجلةِ والمآليّة[2].

شكرُ اللهِ أمرٌ واجبٌ على العبد

أو لِما بينَ الجُملتين من شبهِ كمالِ الاتّصال؛ وذلك أنّ جُملةَ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ استئنافٌ مُبيِّنٌ لِما يوجبُ الشُّكرَ المأمور به، وكأنّه لمّا أمَر اللّهُ تعالى بشُكرِه بقوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ كأنّ سائلًا سألَ: ما موجبُ الشُّكر المأمورَ به؟ فجاءَ الجوابُ في قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾؛ أيْ: بلدتُكم بلدةٌ طيّبةٌ، وربّكمُ الذي رزقكمْ ما فيها من الطَّيباتِ، وطلب منكم الشُّكرَ؛ ربٌّ غفورٌ لذنوب مَن يشكره[3].

غرض حذف المُسنَد إليه في الآية:

في حذفِ المعلومِ احترازٌ عن العبثِ بذِكْره

حَذَفَ البيانُ الإلهيُّ المُسند إليه في الجملتين: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، وهو: (بلدتُكم) و(وربُّكم)؛ إذِ التّقدير: "بلدتُكم التي فيها رزقُكم بلدةٌ طيّبة، وربّكمُ الذي رزقكم وطلبَ شُكرَكم ربٌّ غفورٌ لِمَنْ شكَرَهُ"[4]؛ والحذف

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 168.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 200.
(3) البيضاويّ، مدارك التّنزيل: 4/ 244، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 127، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 8/ 138.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 575.

للاختصار؛ وذلك لكونهما معلومين بقرينةِ السّياق؛ أي: احترازًا عن العبثِ بذِكْرهما، فقد دلّ لفظ ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ ولفظ ﴿رَبِّكُمْ﴾ على ما حُذف، وهذا الحذفُ من كمالِ النّظم، وروعةِ الإيجاز، إذ لو ذُكِرا في السّياق لكان فيهما ثِقَلٌ، والقرآنُ مُنزَّهٌ عن ذلك، كما أنّه لو ذُكِر المبتدآن لَما كان لهذا التّركيبِ مزيّةٌ، وما كان للتّنكيرِ هنا دورٌ يتجاوزُ الإخبار، ولكن بحذفِ المبتدأين برزَ دورُ التّنكير، الذي دلَّ - كما هو واضحٌ - على التّعظيم والتّفخيم.

غرض التّنكير في ﴿بَلْدَةٌ﴾:

بلدةٌ عظيمةٌ فخيمةٌ خُصّت سبأٌ بها

تَنكيرُ ﴿بَلْدَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ للتَّعظيم والتّفخيم، وعُدِلَ عن إضافةِ ﴿بَلْدَةٌ﴾ إلى ضَميرِهم، ولم يقل: (بلدتُكم طيّبةٌ)؛ إمّا لكون ﴿بَلْدَةٌ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف (بلدتكم)، والتّقدير: بلدتُكم بلدةٌ طيّبة[1]، أو لكون ﴿بَلْدَةٌ﴾ مبتدأ يُقَدَرُ له لامُ الاختِصاص؛ أيْ: (بلدةٌ لكم طيّبةٌ)؛ لِقَصدِ تَشريفِهم بهذا الاختصاص، ولِتَكونَ الجُملةُ خَفيفةً على اللِّسانِ، فتكونَ بمَنزلةِ المَثَلِ[2].

غرض التّأنيث في ﴿بَلْدَةٌ﴾:

نِعَمُ اللهِ على سبأ غيرُ محدودة

جاء التّعبيرُ بصيغة التّأنيث ﴿بَلْدَةٌ﴾ دون التّذكير، فلم يُقلْ: (بلدٌ طيّبٌ)؛ وذلك لمناسبة السّياق الذي يتحدّثُ عن المكانِ وما تضمّنه من نِعمٍ كثيرةٍ، من الجنانِ الكثيرةِ وطيبِ تربتها ومناخها وهوائها ومائها وثمارها وغيرِ ذلك؛ إذ البَلدةُ في اللّغة تُطلقُ على الأرض والمكان[3]، وهذا بخلافِ لفظِ (البلد) فإنّه في غالبِ الاستعمال القرآنيّ يُشير إلى المكان وساكنيه.

نُكْتَةُ وصفِ ﴿بَلْدَةٌ﴾ بـ﴿طَيِّبَةٌ﴾:

وصَفَ البيانُ الحكيمُ في قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ البلدةَ بلفظ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 575.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 168.
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (بلد).

اتّساعُ معاني (طيّبة) أنسبُ لكمالِ الإنعامِ وقصدِ الامتنان

﴿طَيِّبَةٌ﴾ دون (كريمة)، و(رغدة)؛ لكون لفظ ﴿طَيِّبَةٌ﴾ أعمَّ؛ فمن معاني الطّيّبة: كريمةُ التُّربة، حسنةُ الهواء، رغدةٌ من النّعم[1]، ومن معانيها: أنّها الحَسَنةُ في جِنسها، الملائِمَةُ لمُزاولها ومُستثمرها؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22]، ومن معانيها في الآية: السّلامةُ من الخَبَثِ بجميع أنواعه؛ إذِ الطّاء والياء والباء أصلٌ واحدٌ يدلّ على خلافِ الخبيث[2]، ومن طيبها: "سعتُها وكثرةُ ريعها ومياهها، وألوانُ ثمارها وفواكهها"[3].

الطّيّبة كلمةٌ واسعة الدّلالة

واشتقاقه من الطّيْب - بكسر الطّاء - وهو الشّيء الذي تعبقُ منه رائحةٌ لذيذة[4]، إذًا تتّسع معاني الطّيّبة، فيُقال: أرضٌ طيّبةٌ للتي تصلحُ للنّبات؛ وريحٌ طيّبةٌ إذا كانت ليّنةً ليستْ بشديدةٍ؛ وطعمةٌ طيّبةٌ إذا كانت حلالًا[5]، ومِنْ ثَمّ فهي بلدةٌ طيبةٌ في تربتها وهوائها وثمارها وروائحها، وما تُحقّقه من أمنٍ واستقرارٍ واستيطانٍ، وفي كلِّ شيءٍ فيها، وفي هذا دلالةٌ على تمامِ النّعمة.

معنى (الواو) ودلالتُها في ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾:

كمالُ نعمةٍ جمعتْ بين نعمةِ البلدِ الطّيّب ونعمةِ الغُفران

الواو في قوله تعالى: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه: جملة ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾[6]، وفي هذا العطف بيانٌ لكمالِ وعظَمة النِّعمة التي جمعتْ بين البلدةِ الطّيّبةِ الطّاهرة عن المُؤذياتِ؛ فلا حَيَّةَ فيها ولا عَقرَبَ ولا وباءَ ولا وخَمَ؛ أيْ: لا غائلةَ ولا تبعَةَ في المال في الدُّنيا، والمغفرةُ الرّبانيّة: فلا عِقابَ ولا عَذابَ في الآخِرَةِ[7]، وبهذا تطيبُ النّعمة، ويتّسعُ للإنسانِ مجالَ التّمتّع بها، على خلافِ ما لو كان ربُّ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 534، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 478.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صيب).
(3) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 8/ 437.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 168.
(5) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (طيب).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 168.
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 200.

هذه النّعم يحاسِبُ على الصَّغير والكبير، ويأخذُ أصحابَها بكلّ ما اقترفوا، فذلك ممّا يقيمُ الإنسانَ على حذرٍ متّصل، وخوفٍ دائم، فلا يُهَنِؤه ما بين يديه من نِعَم.

ما أجمل الجمع بين سعادتي الدّنيا والآخرة

ولم تقتصرِ النّعمةُ على أهلِ سبأ في الدّنيا فحسب، وإنّما تعدّتْ نعمتُه عليهم إلى الآخرة؛ ففي الدّنيا ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾، وفي الآخرة ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ يتجاوزُ عنهم إنْ حدثتْ منهم زلّةٌ أو هفوة[1]، وفي هذا إقامةٌ للحُجّة عليهم، فبعدَ النّعمة والغُفران ما الذي يُقْعِدهم عن الحمدِ والشّكران؟!

إيثار التّعبير بالرّبوبيّة دونَ الأُلوهيّة:

كمالُ الإنعامِ من ربٍّ متّصفٍ بالرّحمةِ والإحسان

عبّرَ البيانُ الحكيمُ بالرّبوبيّة دونَ الأُلوهيّة في قوله تعالى:﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾؛ لِما في الرّبوبيّة من معنى الرَّحمة والتَّربية والإشعارِ باللّطف ما لا يخفى، والإحسانِ والعطاء؛ بما يوحي لقومِ سبأ بأنّه بإمكانهم الاطمئنانُ للاستمرارِ في حياتهم، بالانفتاحِ على النّعم الوافرةِ الطيّبة التي يغدقها اللّهُ عليهم، من خلالِ رعايتِه لهم في كلِّ أمورهم الخاصّة والعامّة، فليسوا مُهمَلين؛ لأنّ الرّبَّ الذي خلقهم لنْ يتركهم للضّياعِ، ولنْ يقسو عليهم بالعقاب، فهو "﴿غَفُورٌ﴾ أي: لذنبِ مَنْ شكره وتقصيرِه، بمَحْوِ عينِ ما قصرَ فيه وأثرِه، فلا يُعاقبُ عليه ولا يُعاتب، ولولا ذلك ما أنعمَ عليكم بما أنتم فيه، ولأهلَكَكُم بذنوبكم"[2]، وهذا هو الأنسبُ للسّياق الذي هو حديثٌ عن كمالِ إنعامه ﷻ.

غرض تنكير ﴿وَرَبٌّ﴾:

ربٌّ عظيمٌ ذو رحمةٍ لا يُقادَرُ قدرُها

تنكيرُ ﴿وَرَبٌّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ للتَّعظيمِ والتفخيم، فـ"لا يَقْدِرُ أحدٌ على أنْ يَقْدُرَهُ حقَّ قدره"[3]، والعُدولُ عن إضافةِ (ربّ)

(1) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 20/ 12297.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 478.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 478.

لِضَميرِ المُخاطَبينَ إلى تَنكيرِ (ربّ)، وتَقديرِ لامِ الاختِصاصِ؛ لِقَصدِ تَشريفِهم بهذا الاختصاصِ، ولِتَكونَ الجُملةُ على وزنِ الَّتي قبْلَها؛ طَلبًا للتَّخفيفِ، ولِتَحصُلَ المُزاوَجةُ بيْنَ الفِقْرتينِ، فتَسيرا مَسيرَ المَثَلِ[1]، هذا عندَ من عدّ (ربّ) مبتدأً، وأمّا من عدّهُ خبرًا لمبتدأ محذوف (ربّكم)، والتّقدير: ربكُم ربٌّ غفورٌ[2]، فلا تستقيمُ الإضافةُ عنده.

دلالة وصف الرّبّ بـ﴿غَفُورٌ﴾:

التّعبيرُ بوصف الغفور في قوله تعالى: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ دلالةٌ على عظيمِ فضلِ اللّه تعالى؛ إذ إنّه يُكمِلُ عطاءه وإنعامه بأنْ يتجاوز عن التّقصيرِ في شكرِ هذا الإنعام، فهو غفورٌ لذنبِ مَن شَكَره وتقصيره، بمحوِ عينِ ما قصَّر فيهِ وأثرِه، فلا يعاقبُ عليه ولا يُعاتب، ولولا ذلك ما أنعمَ عليهم بما هم فيه، ولأَهْلَكهم بذنوبهم[3]، وفي هذا إيذانٌ بأنّ شُكرَهم لم يكنْ وافيًا بتلك النّعمة، وأنّه تعالى يرضى عنهم بقليلِ الشّكرِ من كثيرِ النّعمة[4].

في المبالغةُ تأكيدٌ لمغفرةِ اللهِ، وزيادةٌ في إقامةِ الحُجّةِ على أهلِ سبأ

نكتة صوغ ﴿غَفُورٌ﴾ على وزن (فعول):

وفي صوغِ ﴿غَفُورٌ﴾ على وزن (فعول) مبالغةٌ في تأكيدِ مغفرته ﷻ؛ لكونِ هذه الصّيغةِ من صيغِ المبالغة؛ أيْ: إنّه سبحانه كثيرُ الغفران، وهذه صفةٌ من صفاته ﷻ، أو اسمٌ من أسمائه، وفيه ما يوحي به من الرّحمةِ والعطفِ والحنانِ الإلهيّ الذي لا ينتظرُ فيه الرّبُّ عبادَه ليخطئوا حتى يعاقبهم؛ بل إنّه ينتظرهم ليرجعوا إليه بعد الخطأِ ليَغفرَ لهم.

سبحان من يُنظر عباده ليغفر لهم ولا يتعجّل عليهم

نُكتَةُ تنكير ﴿غَفُورٌ﴾:

نُكّرَ الاسم الجليل ﴿غَفُورٌ﴾؛ للدّلالةِ على تفخيمِ وتعظيمِ غفرانِ

غفرانُ اللهِ عظيمٌ فخيمٌ، لا يُحدُّ حدُّه، ولا يُقادَرُ قَدرُه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 168.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 575.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 478.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 533.

اللّهِ، فهو غفرانٌ لا يمكنُ أنْ تدركه عقولكم؛ بمعنى: أنّه خارجُ حدودِ المعرفةِ، لا تستطيعُ أنْ تتبيّنه، فهو شيءٌ فخيمٌ عظيمٌ، لا يُحدُّ حَدُّه، ولا يُقادرُ قَدرُه، وخاصّةً أنّه جاءَ في سياقِ تعظيمِ ما جعله اللّهُ آيةً دالّةً على قدرتهِ وإنعامهِ وإحسانه.

نُكْتَةُ تقديم جملة ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾:

الامتحانُ في الدّنيا يسبقُ الحسابَ في الآخرة

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ جملة ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ على جملة ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ من بابِ تقديمِ ما له علاقةٌ بالدنيا؛ بجعلِ بلدتهم بلدةً طيبةً؛ امتحانًا لهم على ما له علاقة بالآخرة؛ وهو مغفرةُ الذّنوبِ أو التّقصيرُ في الشّكر المطلوب؛ أيْ: إنّ التّقديمَ هو باعتبارِ السّبقِ في الزّمانِ، فالامتحانُ في الدّنيا يسبقُ الحسابَ في الآخرة.

بلاغةُ ضربِ المثل لقريش بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾:

مَثَلٌ يتنبّهُ به الغافلُ ويجتهدُ به المتنبّهُ

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ وما بعدها، مَثَلٌ لقريش بقوم أنعمَ اللّهُ عليهم، وأرسلَ إليهم الرّسلَ، فكفروا وعصَوا، فانتقمَ اللّهُ منهم؛ أيْ: فأنتم أيّها القوم مثلهم[1]، وغرضُ هذا المثلِ ردعُ مشركي قريش، وزجرُهم عن كفرهم، وترهيبهم ببيانِ إحسانِ المحسنِ وثوابه، وإساءةِ المسيء وعقوبته؛ ليتجافَوا من المعاصي، ويرغبوا في الطّاعة[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المسكن والمنزل:

السّكونُ والاستقرارُ والرّاحةُ من التّعب نِعمٌ على أهلِ سبأ

المسكنُ: هو مكانُ الاستقرارِ والاستيطانِ والإقامةِ والرّاحةِ من التّعب، فأصلُه من السّكونِ وعدمِ الاضطراب والحركة[3]، فإذا كان المكانُ يُراعَى فيه معنى الهدوءِ والسّكون عن الحركة، واتّخاذِه

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 413.
(2) مكّي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 9/ 5916.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سكن).

للجلوسِ والرّاحة من التّعب سُمّي مسكنًا، وأمّا المنزلُ فهو مكانُ النّزول والإقامةِ والحلول، إذ أصلُه منَ الهبوطِ والوقوعِ والحلولِ في المكان[1]، فكلُّ مكانٍ يُنزَلُ فيه يُسمَى منزلًا، إذًا فالمسكنُ فيه معنى زائدٌ عن المنزلِ؛ وهو السّكونُ والاستقرارُ والرّاحةُ من التّعب.

البلدة والقرية:

البلدةُ أخصُّ من القرية، فالبلدةُ في اللّغة تُطلقُ على الأرض والمكان[2]، وقد وردتْ في الاستعمالِ القرآنيّ في خمسةِ مواضع بمعنى المكان[3]، والقريةُ أعمُّ من البلدة من جهة أنّ القريةَ تُطلقُ على الموضعِ الذي يجتمعُ فيه النّاس؛ أي: المَكان الذي اتَّصَلَتْ بِهِ الأَبْنِيَةُ واتُّخِذَ قَرارًا، وعلى النّاس المجتمعين[4]، فأصلُ القرية مأخوذٌ من الجمعِ والاجتماع[5]، ويُقال لِلْمدينةِ: قريةٌ؛ لاجتماعِ النّاس فيها[6].

البلدةُ تُطلَقُ على المكان، والقريةُ تُطلَقُ على المكانِ والنّاس

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (نزل).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (بلد).
(3) ينظر الآيات: الفرقان: 49، النّمل: 91، سبأ: 15، الزّخرف: 11، ق: 11.
(4) الرّاغب، المفردات، والفيّوميّ، المصباح المنير: (قري).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قري).
(6) النّحّاس، معاني القرآن: 3/ 57.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»